

الفكر الاجتماعي في الحضارة الرومانية وفي ظل الديانة المسيحية.

5- الفكر الاجتماعي في الحضارة الرومانية:

منذ نشأت الدولة الرومانية ومفكريها يبحثون فيما تركه أساتذتهم اليونانيين، فقد ساهمت الفلسفة الرواقية في تشكيل الفكر الاجتماعي الروماني ببعض النظرات الهامة من ذلك ما دعت إليه من ضرورة العيش وفق الطبيعة ومن المتضمنات الاجتماعية لهذا المبدأ هدم واقتلاع الحواجز السياسية والاعتماد على قانون عام وشامل للبشرية جمعاء، إذن ففكرة العالمية هذه تعمل على إزالة الفوارق اللونية والطبقية واللغوية التي تميز بين الناس والحقوق¹. كما أن الفكر الاجتماعي الروماني لم يسير على نهج الفكر الاجتماعي اليوناني من حيث التجريد (عملية التفكير التي من خلالها تبتعد الأفكار عن الأشياء) (abstraction) والمثالية بل إنهم استفادوا من هذا التراث وحاول تكييفه على حسب ما تقتضيه ظروفهم الاجتماعية. وقد نتج عن تطور هذه الأفكار خطين رئيسيين هما

5.1- الاتجاه القانوني² -الدينوي- المتأثر بالفلسفة الرواقية ويمثله شيشرون **cicero** 107-43

ق.م عاش شيشرون تحول النظام السياسي الروماني من النظام الجمهوري إلى النظام الإمبراطوري وما نتج عنه من اضطرابات اجتماعية واقتصادية بين طبقات الشعب الروماني وكذلك الصراعات السياسية التي كانت تعان منها السلطة، أما في الجانب الفكري فقد شهد الاختلافات الفكرية بين التيارات الفكرية اليونانية وفقه القانون الروماني والفلسفة الرواقية، حاول شيشرون تقديم تفسيراً لهذه القضايا التي عاصرها من خلال كتاباته فعالج قضيتين رئيسيتين هما:

¹-ينظر أحمد غريب السيد تاريخ الفكر الاجتماعي، ص 178-202

²-ينظر، تاريخ الفكر الاجتماعي، ص 73

أ-فكرة القانون الطبيعي: القانون الطبيعي هو مجموعة من القيم الإنسانية الثابتة لا تتغير لا بزمان ولا بالمكان يدركها التفكير المنطقي السليم، كالعدل والمساواة والحرية بين جميع البشر على اختلاف أعراقهم وأجناسهم ودينهم إذن فالبشر متساوون في الحقوق والواجبات.

ب- فكرة الشعب مصدر السلطة: بمعنى أن السلطة لا يمكن أن تكون شرعية إلا إذا استندت على الشعب، فالحاكم عند ممارسته للسلطة إنما يمارسها بناء على رغبة الشعب.

5.2-الاتجاه الديني³: ويمثله سينيكا **seneca** (2-66م) تأثر سينيكا بالفلسفة الرواقية الكهنوتية التي تلتمس في الطبيعة أسس تقويم مستويات الخير والحكمة. رأى أن راحة النفس لا تتم إلا إذا أدى الفرد ما عليه من واجبات وعليه أن يكون مخلصا في أدائها حتى لا يقع ضحية أهوائه، أما ما آلت إليه روما من أوضاع سيئة في عهد نيرون وسقوط البشرية في فساد شامل، رأى أن أفضل علاج لهذه الأوضاع السيئة هو ضرورة إنشاء حكومة لاستئصال الشر والفساد وزرع الأمن والطمأنينة فوظيفة هذه السلطة منع البشر من التماذي في الشر والفساد، فاصطبغت فلسفة سينيكا ونظرتة للحكم بالصبغة التشاؤمية بحيث دعا إلى تأييد الحكم المطلق الذي عدّه أفضل من حكم الجماهير الذي أقره شيشرون لأن هؤلاء البشر اتصفوا بالفساد والشر وسيكون نتيجة فسادهم حكم فاسد، لهذا نصح كل إنسان عاقل الابتعاد عن ممارسة السياسة لما ارتبط بها من سوء أخلاق وفساد. دعا سينيكا إلى إنشاء حكومة تكون بمثابة وسيلة إلهية لحكم الجنس البشري كما هو في حالته التي تردى فيها. وعلى ذلك فإن الحكومة بهذا الوصف من حقها أن تطالب خيار الناس بطاعتها والامتثال لأوامرها.

خلاصة

وما يمكن قوله أن الفكر الروماني كانت معظم اهتماماته تنصب أساسا حول العلاقات الاجتماعية والأنماط السلوكية، كرد فعل للانحلال الخلقي وتفكك الكثير من جوانب الحياة

الاجتماعية "فقد عوضت الحضارة الرومانية تصورها في الجانب الفلسفي بالتطور في الجوانب التشريعية القانونية وذلك بالاستعانة بالأخلاق والمثل الإنسانية"⁴.

6-الفكر الاجتماعي في ظل الديانة المسيحية:

سعت المسيحية كعقيدة إلى تحقيق المثل الأخلاقية لخلاص الإنسان، ولم تُعن في أصولها اللاهوتية بدراسة القضايا الاجتماعية والسياسية، كما فعل المفكرون في روما واليونان. دعت المسيحية إلى أخوة الإنسان للإنسان في روح الله وهذا يسمح بتحقيق أخوة إنسانية عالمية تقوم على الإخلاص والإيمان أكثر مما تقوم على العقل. فظهور المسيحية في ذاتها كان عاملاً مؤثراً في ظهور عدد من المفكرين والفلاسفة واللاهوتيين الذين روجوا لمبادئها وعقائدها الجديدة، فظهرت رؤى وأفكار متنوعة ونظريات جديدة عن الإله وصفاته، وعن الإنسان ومصيره، وعن الحياة والنظم الدينية والقيم الأخلاقية التي كان يدعو إليها الدين الجديد.

وما يمكن أن نلاحظه في ملامح الفكر الاجتماعي في ظل الديانة المسيحية :

✓ الظروف الفكرية والاجتماعية التي صاحبت ظهور المسيحية.

✓ الفكر الاجتماعي لدى بعض رجال الدين المسيحي.

أولاً: . الظروف الفكرية والاجتماعية التي صاحبت ظهور المسيحية.:

1. الجمود الذي أصاب الديانة اليهودية: تحول الديانة اليهودية إلى ديانة مثقلة بالطقوس والشعائر المعقدة التي لا طاقة للإنسان بها، فغرق اليهودي في بحر من الأحكام والتشريعات الكثيرة والمتناقضة، التي دمرت روحانية الدين، بالإضافة إلى اهتمامهم الشديد بأمور الدنيا، وانغماسهم في النواحي المادية،

⁴- عبد الهادي محمد والي، تاريخ الفكر الاجتماعي، ص 133

وابتعادهم عن الأمور الروحية والأخلاقية. وفي مقابل مادية اليهود وديويتهم جاءت المسيحية بمفاهيم المحبة والتسامح والسلام⁵.

2. الفكر الفلسفي اليوناني : قام الفكر الفلسفي اليوناني على أساس اعتماد العقل وحده كمصدر للمعرفة الإنسانية بما فيها المعرفة الدينية، فسببت هذه الفكرة أزمة دينية لدى الشعوب التي تأثرت بها فأصبح لديهم فراغ ديني مما أدى بهم للبحث عن ديانة تشبع حاجاتهم الدينية والروحية.

ثانياً: الفكر الاجتماعي لدي بعض رجال الدين المسيحيين:

ظهر العديد من المفكرين المسيحيين الذين قدموا بعض الأفكار الاجتماعية، وكانت في معظمها مصطبغة بالصبغة الدينية، ومرتبطة بالعقائد التي تطورت عقب وفاة السيد المسيح عليه السلام، مرت التفكير المسيحي بثلاثة مراحل تاريخية مرحلة ظهور المسيحية وتطورها في القرن الأول الميلادي (يمثلها القديس بولس) ومرحلة انهيار الحضارة الرومانية خلال القرن الخامس الميلادي (يمثلها القديس أوغسطين) ومرحلة ما بعد ظهور الإسلام، وتأثر رجال الدين المسيحي بها (ويمثلها توما الأكويني الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي)⁶.

1- القديس بولس: (15-60 م) حث على طاعة السلطان، والسلطان هو الحاكم السياسي؛ بمعنى أن طاعة الحاكم واجبة لأنها طاعة "لترتيب الله" فطاعة الحاكم مرتبطة بطاعة الله، ومعارضته تعني معارضة إرادة الله. تأثرت تفسيراته الدينية ببعض الظروف السياسية والاجتماعية السائدة في عصره، فصاغ العديد من العقائد المسيحية متأثراً بخلفيته الدينية والفلسفية السابقة.

2- القديس أوغسطين: (354-430 م) كتب القديس أوغسطين مؤلفه "مدينة الإله" *la cité de dieu* عندما استولى الأريك *Alaric* على روما فكان سقوط روما وتدميرها وقع كبير في نفوس الذين عرفوها وتعلموا فيها وتأثر القديس أوغسطين بهذا الموقف فأخذ

⁵- ينظر، تاريخ علم الاجتماع، ص 18

⁶-www.m.ahewar.org-مقال لحسنى إبراهيم عبد العظيم، ملامح الفكر الاجتماعي في الديانة المسيحية، 10/11/1016م، الحوار المتمدن،

على نفسه تدوين الحوادث الدامية فأخرج مؤلفه هذا الذي جمع بين التعاليم المسيحية والفلسفة اليونانية خاصة أفكار أفلاطون الذي وصفه بأنه نصف إله، من أهم ما كان يهدف إليه في هذا الكتاب هو تبرئة المسيحية من تدهور الإمبراطورية الرومانية (توصل إلى إبراز كل الأفكار الفلسفية التي جاء بها ومنها نظريته في أهداف التاريخ الإنساني وأهميته) والتنظير السياسي في مجال دولة الله فلسفة التاريخ فبيّن أن هناك نمطين للمدينة التي تصورها⁷:

- المدينة الأرضية: التي يعيش فيها الإنسان (الجسد) والغرائز الشهوانية، فهي تقوم على حب الذات وعلاقة السلطة والقوة والخضوع، وكثيرا ما تنقسم المدينة بفعل الحروب والنزعات والمهم أن المدينة الأرضية ليست خالدة وهي إلى زوال وهي زمنية.
 - المدينة السماوية 'مدينة الله': يعيش الناس فيها وفق إرادة الله، تقوم على محبته وفيها يخدم الأمراء رعاياهم في رحاب المحبة، فالرعية مطيعة للأمراء، في حين يشغل الأمراء عقولهم بالتفكير في أمر الجميع، ويعيش في هذه المدينة مواطنون من جميع الأمم، وتجمع مجتمعا من جميع اللغات، ويكون الأحرار والعبيد متساويين في الحقوق والواجبات، ويكون السلام والأخلاق الفاضلة هما رمز مدينة الله.
- اعتقد أوغسطين أن المجتمع في الآن ذاته مدينة أرضية بما فيها من مساوئ ومفاسد ومدينة سماوية يعيش في ظلها بشر متحابون يعم السلام والوئام ويعيشون في الحب المطلق لله.

3- توما الأكويني (1227-1274 م): عاش في القرن الثالث عشر الميلادي، كان من أكبر أنصار الديانة المسيحية تأثر بآراء أرسطو وشرحها، كما عاصر الأكويني الحضارة الإسلامية في أوج ازدهارها، وتأثر بها بشدة، خاصة فلسفة كل من ابن سينا وابن رشد التي اتسمت بالطابع العقلي. أدخل الفلسفة العقلية إلى التراث الكاثوليكي، حاول التوفيق بين الديانة المسيحية

وأفكار أرسطو، تبني وجهة النظر "الأرسطية" في أصل الاجتماع ومنشأ الدولة فقرر أن الاجتماع الإنساني أمر طبيعي يقوم على الإرادة ويدبره العقل، وبالتالي فهو اجتماع تعاقد لا اجتماع فطرة وغريزة (ساهم في تغذية نظرية العقد الاجتماعي). من أهم القواعد التي أسسها:

- 1- كل ما جاء في الكتاب المقدس وأقوال رجال الكنيسة حق
- 2- كل ما قاله أرسطو مما لا يتناقض حق
- 3- كل ما أفضى إليه العلم مما لا يتناقض مع الكتاب المقدس وكلام أرسطو فهو حق⁸.

وقد ترتب عن تأثيره بالفكر الأرسطي رفضه فكرة الحق الإلهي للملوك، فرأى أن السلطة ظاهرة طبيعية من اختصاص العقل البشري، قبل أن تكون من اختصاص علم اللاهوت، وبالتالي فهي تنبع من حق بشري ومن اختيار بشري.

-حسني إبراهيم عبد العظيم، ملامح الفكر الاجتماعي في الديانة المسيحية، مقال في مجلة الحوار
alshwar.org/debat/show.art.asp ?aid=534263&r=0⁸